الفصل الثلاثون

خيبة أمل

الخامس عشر من تموز عام ٢٠٠٧م

الحـزن والغضب همـا شعوران مـن مشاعر كثيـرة لازمت تفكيـر ميسي وكلامـه في منتصف شهر حزيران. أمّا مـردّ ذلك فبسيط؛ إذ لم يفز برشلونة بـأيّ من الألقاب التي وضعها نُصب عينيـه. وكان عليهم أن يرضوا بلقب واحد من أصل ثمانية ممكنة، هو كأس السوبر الإسباني فقط. نتيجة مخيّبة ولا شكّ. إنّ الشعـور بالسوء حيال الأمر، هو شيء طبيعي بالنسبة إلى شخص لا يفكّر إلّا فـي الفوز، مثل البرغوث. يقول فـي مقابلة له مع مجلة فرانـس فوتبول: «بدأنا الموسـم علـى نحوٍ طيب. ثمّ أُقصينـا من دوري الأبطال مبكّـرًا. عندئذٍ، ظننا أنّ الأمـور ستصبح أسهل، فوجدنا أنفسنا خارج كأس الملك. يغدو الأمر مؤلمًا حينما تتضافر تلك العوامل كلّها بعضها مع بعض».

لا يتطـرّق ميسي إلى الحديث عن الـدوري، الذي عُدَّ أقوى الضربات التي وُجّهت إلى الفريق. كان يبدو أنّ البلاوغرانا قد ضمنوا اللقب منذ شهر شباط، وأنّ الأداء الـذي يقدّمـه ريال مدريد بقيـادة كابيللو ما هـو إلّا محاولة للإبقاء علـى الحظوظ، والدفاع عـن أنفسهم أمام وسائل الإعـلام. لكنّ الحال انقلب؛ إذ خسـر البارسـا نقاطًا كثيرة في الخطوات الأخيرة مـن البطولة، خاصة تلك

التي خسرها أمام ريال بيتيس وإسبانيول، وأهدت اللقب إلى البلانكوس. لماذا لـم يعرض البارسـا مكافآت على نـادي مايـوركا؛ خصم الريال فـي المباراة الأخيـرة التي ستقام في السابع عشر مـن شهر حزيران المقبِل على البرنابيو؟ (يُعَدّ تقديم المـال للفرق التي تهزم خصمك أمرًا شائعًا في إسبانيا). لا يظن ميسـي أنّ في الأمر خطأً إذا كان يساعدهم علـى الفوز. ولكن، على الرغم من صـدق نيات هـذا الأرجنتيني وتطلّعاتـه، فقد بدت المعجزة التـي كانت ممكنة فـي الدقيقة الخامسة والستين بعيدة المنال فـي النهاية. تتبدّد بذلك الفرصة الأخيرة لإنقاذ الموسم، مخلِّفة وراءها مزيدًا من الحسرات والندم.

باختصار، لم يَجْرِ أيّ شيء كما كان متوقّعًا، و«بقي البطل من دون جائزة» كمـا عنونـت صحيفـة إل باييـس. لقد كان فعـلًا موسمًـا مميّزًا علـى المستوى الشخصـي بالنسبة إلى ميسـي؛ فالأرجنتيني أدى دور البطولة المطلقة في كثير مـن الليالي الساحرة. فقد كان هو مَنْ تسبَّب فـي خيبة أمل مؤقتة لريال مدريد بالهاتريـك الـذي سجّلـه في مرمى هـذا الأخير. ثـمّ جاءت نسـخ أهداف قدم مارادونا ويد الرب؛ عجائب وخدع لم ينتج منها شيء. كلّ الأهداف التي سجِّلت، إلى جانب جائزة أفضل لاعب أجنبي في الدوري، لا تتعدّى كونها جوائز ترضية.

مـن حسـن الطالـع أنّ كـرة القـدم لا تنتهـي؛ إذ تنتظـره الآن مشاركـة مـع المنتخب الوطني فـي كوبا أمريكا، وهـي فرصة قد تكـون مناسبة للتعافي مـن الصدمـات التي تعرّض لها تـوًّا. وإن لديه الفرصة ليكـون ضمن التشكيلة الأساسية في بطولة مهمة، لا مجرّد عنصر من الفريق، كما كان عليه الحال في بطولة كأس العالَم بألمانيا.

يضمّـه آلفيو بازيلي الملقَّب بِـ كوكو إلى الفريق، بعـد أن تسلّم دفّة قيادة المنتخـب خلفًا لخوزيه بكرمان. يعرف بازيلي حقّ المعرفة أنّ بإمكان البرغوث

obeikandl.com

تقديـم الكثير للمنتخـب الوطني، وأنّه سيـؤدي دورًا رئيسًا فـي تنفيذ الخطط المرسومة للفريق. لم يكن يرغب في تكرار الأخطاء التي وقع فيها سلفه.

حرص آلفيو على حضور ميسي المعسكرَ المزمع إقامته في أوروبا، بمدينتي بيرن وبرشلونة، حيـث سيواجه الفريق سويسرا والجزائر؛ وذلك بقصد تهيئته للمشاركة في البطولة القارية التي ستقام في فنزويلا، حيث يتوقّع العالَم بأسره أن يكون لميسي كلمة عليا هناك.

تقـدّم ليو فـي الاستفتاء الـذي أجراه الموقـع الإلكترونـي للبطولة بفارق كبيـر (33٪ مـن الأصوات)، تاركًا خلفـه كلًّا من التشيلـي ماتياس فيرناندیز، والفنزويلي خوان أرانغو. أمّا لاعب ريال مدريد، البرازيلي روبينيو، الذي سيتوَّج لاحقًـا بلقب أفضل لاعـب في البطولة، إلـى جانب حصوله علـى لقب الهدّاف برصيد ستة أهداف، فجاء في مؤخّرة الترتيب (8٪ فقط من الأصوات).

يحتفل ميسي بعيد ميلاده العشرين في الرابع والعشرين من شهر حزيران فـي مدينـة ماراكايبو، قبل أربعة أيام من مبـاراة المنتخب الأولى أمام منتخب الولايـات المتحدة، فأخذت وسائل الإعلام تتزلـف إليه لمعرفة أمنيته في هذه المناسبـة؛ فتحصل على إجابة متوقّعة، هي: «الفوز بلقب كوبا أمريكا، والتتويج بلقـب الهدّاف». لم تفز الأرجنتين بالبطولـة منذ عام 1993م، وهو أمر زاد من الضغط والتوقّعات على نحوٍ هائل.

يتوقّع الجميع مـن ميسي الكثير، لدرجة أنّ المـدرِّب واللاعبينَ يصنعون جلبـة من حوله، وهـو أمر لا يقارَن بما كان عليه الوضع فـي بطولة كأس العالَم بألمانيـا، حتـى إنّ كوكو عيّـن له مرشدًا، هو خـوان سباستيان فيـرون الملقَّب بالساحر. لعب فيرون هذا، البالغ من العمر (32) عاماً، في نادي بوكا جونيورز، وسامبدوريـا، وبارمـا، وإنتر، ولاتزيـو، ومانشستر يونايتـد، وتشيلسي، ثمّ عاد ليحقِّق النجاح مع حبّه الأول في الأرجنتين؛ إستوديانتس دي لا بلاتا.

يقـدِّم فيرون النصيحـة لصاحب العشرين عامًا داخـل الملعب وخارجه، ويدحض عنه الاتهامـات التي توجَّه إليه بأنّه فـردي ومتعجرف. ثمّ يشرح هذا الأمـر لصحيفـة إل باييـس قائلًا: «ميسـي متحفِّظ. لا يخرج مـع مجموعة من الأصدقـاء لقضـاء الوقـت، واحتساء المشروبـات، وإنّما يفضِّـل لعب (البلاي ستيشـن). هو بالنسبة إلـيَّ كالأخ الأصغر الذي يتعيّن علـيَّ العناية به. عليَّ أن أحميه!».

وفي واقع الأمر، فإنّ توفير الحماية لميسي أمر ضروري؛ فحمّى هذا الفتى منتشـرة في فنزويـلا؛ إذ لا يمكِن له أن يخطو خطوة واحـدة من دون أن يُحاط بجمـع غفير مـن المعجبينَ، ناهيـك عـن أنّ القمصان التي تحمـل اسمه تلقى رواجًـا كبيرًا، بيـن الكبار والصغار على حدّ سواء. أمّا علـى أرض الملعب، فإنّه يلقـى التحية كلّمـا لمس الكرة، وحتى عندما يخطئ المرمـى. وفي حال لم يكن فـي التشكيلـة الأساسية، كما في مبـاراة الفريق أمام منتخـب الباراغواي، فإنّ الجمهور المنزعج يبدأ المناداة باسمه بعد مُضِيّ عشر دقائق من زمن المباراة.

إنّه حبّ أعمى؛ حبّ يصل ذروته في ملعب لارا دي باركويزيميتو؛ ففي أثناء سيـر ميسـي في اتجاه النفق المـؤدي إلى غرف تغيير الملابـس، يشعر بالتعب والشرود، وفجأة تقع عيناه على فتاة ظهرت من غامض علم الله. ويلاحظ أنّها على وشك إلقاء نفسها مـن على المدرّجات، فيشعر بالقلق حيال ذلك، ملوِّحًا بيديـه، وهو يصرخ: «توقفي، مـا الذي تفعلينه؟!». تأبى الفتـاة العشرينية التي أعماهـا الحـبّ الاستماع إلى صوت المنطـق، ثمّ تقفز. ولحسـن الطالع، فإنّها تنزل على قدميها. فيهجم عليها رجال الأمن. ولكن، قبل أن يتمكّنوا من أخذها بعيـدًا، تتمكّن من معانقة حبيبها وغمره ببعض القبل. ظهرت على مُحَيّا ميسي ملامح الحيرة والارتباك من دون شكّ، تمامًا مثل حكم المباراة سايمون، الذي أمسك بذراع ميسي وطالبه بتفسيرٍ للحادثة، مقتنعًا أنّها كانت هجومًا.

يعتـرف ميسي بذلك لاحقًا، في حديث لصحيفة كلارين، قائلًا: «لقد كان أمرًا لا يصدَّق. كنت أشير لها كي لا تقفز، لكنّها تجاهلتني وقفزت. أقسم إنّني لـم أدرِ ماذا أصنع. لقد قفزت مسافة أربعة أمتار على الأقل. وكان من الممكن أن تُقتَـل، والأدهـى أنّهـم أخذوها بعيـدًا بسرعة من دون التأكّـد ممّا إذا كانت الفتاة المسكينة على ما يرام أم لا».

وقعـت هذه الحادثة في الثامـن من شهر تموز، قبيل مبـاراة ربع النهائي. كانـت الأرجنتين قـد تغلّبت توًّا على البيـرو بنتيجة (0-4)، مبـاراة سجّل فيها ميسـي فـي الدقيقـة الحاديـة والستين هدفًـا طال انتظـاره؛ إذ لـم يتمكَّن من التسجيل في المباريـات التي سبقت أمام منتخب الولايات المتحدة، وكولومبيا، والباراغواي، لكنّه كان حاسمًا في تحريك ماكينة الألبيسيليستي وتحويلها. ففي المبـاراة الافتتاحية التي جمعت الفريـق بمنتخب الولايات المتحدة، قدّم ميسي كرة على طبق من ذهب لكريسبو، وتمكَّن هذا الأخير من تسجيل الهدف الثاني. وألهـب ميسـي مشاعـر الجماهير في الخمس والعشرين دقيقة التـي لعبها في الشوط الثاني من مباراة الفريق أمام الباراغواي (أراد بازيلي إراحته؛ استعدادًا لمباراة ربع النهائي)، حين أشعل مباراة كان يغلب عليها طابع الملل. ولكن، حتى ذلك الوقت، فإنّه لم يتمكَّن من التسجيل. لذا، فقد أزاح الهدف الذي سجّله في الشباك البيروفية عبئًا ثقيلًا عن كاهله. وفي مباراة نصف النهائي أمام منتخب المكسيك، التي أُقيمت في مدينة بويرتو أورداث، نجح ميسي في استعادة مكانته بتنفيذ تحفة فنية جديدة؛ تحفة جعلت المعلّقين يقولون: «عليهم (أفراد منتخب المكسيـك) حزم أمتعتهم، والعودة إلى الديار». أمّا بازيلي فقال: «هذا ما يفعله العباقـرة». ثمّ كرَّر المعلّقون في قنـاة تايك الرياضية الأرجنتينية الشيء نفسه: «هل نحزم أمتعتنا، ونرحل؟ هل نحن في حاجة إلى المزيد؟ لماذا نستمر بعد أن رأينا هذا الهدف؟». ليس هذا وحسب؛ إذ يقول تيفيز: «ما فعله ميسي كان ضربًا

مـن العبقريـة. لم يكن هنـاك الكثير من الفرص السانحة بالنسبـة إليه، لكنّه تمكَّن من تحويل أول كرة حصل عليها إلى هدف رائع». في حين قال ماسكيرانو: «إنّهـا لحظة من لحظات العبقرية التي نتوقّعها منه. لن يفاجئني أيّ شيء يفعله بعـد الآن. إنّه خارق للعادة». أمّـا كامبياسو فصرح بأنّه «كان هدفًا مدهشًا». ثمّ أضـاف هاينزه: «تعجز الكلمات عن وصف هـدف ميسي». وفي واقع الأمر، فقد كان الهدف رائعًا، لدرجة أنّه صُنِّف – على شبكة الإنترنت – ضمن قائمة أفضل الأهداف التي سجّلها البرغوث في مسيرته الكروية.

ولكـن، مـا الذي تمكَّن مـن فعله هذه المـرّة؟ لِنُعِد شريـط الأحداث: في الدقيقـة الستين، مـرَّر هاينزه، الذي كان قـد أحرز هدف التقـدّم، الكرة إلى كامبياسـو؛ مدافع نادي إنتر الذي كان محاطًا ببعض اللاعبينَ، ما اضطره إلى إعـادة الكرة إلى هاينزه الذي أرسلها من منتصف الملعب، ليتلقّاها تيفيز عند حافـة منطقة الجزاء وظهره فـي اتجاه المرمى. وبعد أن روَّض الكرة بصدره وأنزلهـا على الأرض، التفّ مرسِلًا الكرة إلى ميسي الذي كان مندفِعًا كالسهم. دخل ميسي منطقة الجزاء، ثمّ رفع رأسه ليُحدِّد موقع الحارس، ثمّ أرسل الكرة فـي الهواء بمنتهـى المهارة والخفّـة. كانت كـرة مقوَّسة بدقة، مـرَّت من فوق الحارس اليائس سانشيز، الذي قفز إلى الخلف ومَـدَّ جسمه ما استطاع، لكنّه لم يُفلِح حتى في لمس الكرة التي التفّت، ثمّ دخلت من تحت العارضة مباشرة. وفـي هذه الأثنـاء، ينظر ليو إلى الكـرة حين معانقتها الشبـاك، ثمّ يركض في اتجاه الراية الركنية، ويحتفل مع الجماهير الأرجنتينية. مرشده فيرون كان أول الواصلين لتهنئته، فيقفز الفتى ويتحلّق برقبة مرشده، ثمّ نشاهد كوكو على دكّة البدلاء، وهو يرفع ذراعيه في الهواء، ثمّ يصفِّق، ويضحك فرحًا».

«هـل ظننـت أنّـه يتعيّن عليهم حـزم أمتعتهم والعـودة إلى الديـار بعدما أهديتهم تحفتك الفنية؟» «لا، توقف عن قول ذلك. لقد كان هدفًا جميلًا، لا أكثر

obeikandl.com

ولا أقل. المهم أنّني تمكّنت بتسجيله من مساعدة المنتخب الأرجنتيني على بلوغ المبـاراة النهائية». كان ذلك جـواب ميسي عن سؤال طرحه مندوب صحيفة لا ناسيون في اليوم اللاحق. لكنّ المندوب يحاول إثبات وجهة نظره بسؤال ميسي: «هل تعتقـد أنّه أروع هدف في مسيرتك الكروية؟» «ربما، لا أعرف، لقد سجّلت بعضـ الأهداف الجيـدة، مثل هدفي في مرمـى فريق خيتافي. فـي الواقع، أنا لـم أُشاهـده بالتلفاز، لكنّ الجميع قالوا لي: إنّه كان جيـدًا جدًّا؛ وإنّك شاهدت الحارس وهو يتقدّم عن مرمـاه، فقمت باستغلال الفرصة. لقـد انتهت الأمور على نحوٍ طيب، أليس كذلك؟».

ميسـي يتصرف كعادته؛ تواضـع لا يتزعزع. ومع ذلك، فإنّه يتمسّك بحقّه فـي تحقيق حلمه المتمثّل في التغلُّب على المنتخـب البرازيلي في النهائي. كان ميسي قد صرَّح منذ بداية البطولة بأنّه يرغب في مواجهة البرازيل، وها هي ذه أمنيتـه تتحقَّق. إنّه يريد أن ينسى الهزيمة التي ألحقوها به وبفريقه (0–3) في المباراة التي جرت على ملعب ويمبلي في شهر أيلول المنصرم.

صديقـه رونالدينو لن يكون موجـودًا، وذلك يَعُدُّهُ ميسي جيدًا، وإن كاكا غير موجـود أيضًا. صحيـح أنّ البرازيل خسرت مباراتها الافتتاحيـة أمام المكسيك، واضطـرت إلى الضربات الترجيحية للتغلّب علـى الأوروغواي في نصف النهائي، لكـنّ التغلُّـب عليها يبقى أمرًا صعبًـا. أضف إلى ذلك أنّ المباريـات النهائية أمر مختلـف؛ فلا أحد يمكنه التنبؤ بما سيحصل في أثنائها. أمر يستحيل واقعًا مؤلِمًا يحطِّم الآمال الأرجنتينية بخسارة مدوية (0–3) تسبَّب فيها كلّ من: الوحش جوليو بابتيستـا، وقائـد الألبيسيليستي أيالا الذي سجّل خطأً في مرمـاه، وداني ألفيش. لقد تمكَّنت البرازيل من محاصرة الفريق ذي الفنيات على نحوٍ محكم. ولم تتمكَّن الأرجنتيـن من إحداث أيّ تأثير في المباراة التي أُقيمت على ملعب خوزيه روميرو بمدينة ماراكايبو، حتى خُيِّل أنّهم أشباح الفريق الأصلي. ولكن، ماذا عن ميسي؟

تقـول صحيفة كلارين: «لم يفعل الكثير لتغييـر مسار التاريخ. لا حماسة، ولا كرة قـدم، فقد فرض عليه أحد اللاعبينَ البرازيلييـنَ رقابة لصيقة وتركه ضائعًـا في متاهـة». تعبِّر الصورة أكثر من حديث المعلِّقيـن والنقّاد؛ إذ يجلس ميسـي على أرضية الملعـب، وتعلو وجهه نظـرة تائهة. ثمّ يهـزّ طبيب الفريق، دادي، رأسه نحوه قاصدًا مواساته. وبعد أن يقدِّم له رئيس الفيفا جوزيف بلاتر الميداليـة، ينزل ميسـي عن المنصة، ثـمّ يخلعها، ويُحكِم قبضتـه عليها. لقد اختيـر بوصفـه أفضل لاعب صاعد في البطولة. ولكن، مـا نفع ذلك؟ فلا شيء يتملَّكه غير الغضب والحزن في خضم خيبة الأمل الجديدة تلك.

obeikandl.com